

كلاهما



م للعراق

Yes, yes

own America

لله ملك عيسى
... لله الملك

البرلمان
... لله الملك

التواجد الأمريكي في العراق:

المواقف الصادرة عن الأحزاب السياسية العراقية

بقلم ماك سكيلتون وحمزة الشديدي وزمکان علي سليم

معهد الدراسات الإقليمية والدولية (آيرس) هو مركز بحثي متخصص في دراسات السياسات مقره في الجامعة الأمريكية في العراق، السليمانية. يعمل المعهد على تشخيص ومعالجة القضايا المتشابكة التي تواجه العراق والشرق الأوسط، من خلال إعداد البحوث متعددة الاختصاصات، وتنظيم برامج التدريب وتطوير القدرات، بالإضافة إلى إقامة المنتديات والمؤتمرات التي تعنى بدراسة السياسات وتحليلها. يمول آيرس نشاطاته من خلال المنح التي تقدمها المؤسسات والدول المانحة، حيث عقد المعهد مؤخراً شراكاتٍ مع بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) وكلية لندن للاقتصاد وكونراد أديناور شنتونغ وتشاتام هاوس، في العديد من المشاريع البحثية والبرامج المتنوعة.

نبذة عن المؤلفين:

ماك سكيلتون هو مدير معهد الدراسات الإقليمية والدولية (آيرس) في الجامعة الأمريكية في العراق-السليمانية. يمكنكم متابعة تغريداته على mac_skelton@.



حمزة الشديدي هو باحث في معهد الدراسات الإقليمية والدولية (آيرس) في الجامعة الأمريكية في العراق-السليمانية، ويركز في أبحاثه على دراسة القضايا الأمنية وسيادة القانون في العراق. يمكنكم متابعة تغريداته على HAAlshadeedi@.



زيمان علي سليم هو مدير برنامج البحوث في معهد الدراسات الإقليمية والدولية (آيرس) في الجامعة الأمريكية في العراق-السليمانية، كما يعمل تدريسياً في كلية العلوم السياسية في جامعة السليمانية.



ترجمة: أطياف مهدي

Institute of Regional and International Studies (IRIS)
American University of Iraq, Sulaimani
Kirkuk Main Road, Raparin Sulaimani, Iraq

www.auis.edu.krd/iris

iris@auis.edu.krd

[@IRISmideast](https://www.facebook.com/IRISmideast)

[/IRISmideast](https://twitter.com/IRISmideast)

مقدمة

في خضم المحادثات السياسية الجارية بشأن التصعيدات بين الولايات المتحدة وإيران وتبعاتها على التواجد الأمريكي في المنطقة، لم يولَ اهتمام كافٍ للفوارق الدقيقة بين مواقف الأطراف السياسية العراقية المختلفة من تلك المسائل. وربما يعود سبب ذلك إلى أن صَبَّحَ السياسات قد افترضوا أن إيران - في نهاية المطاف - ستملي على الفاعلين السياسيين الرئيسيين في العراق سُبُلَ المضي قدماً، وبالتالي فإن أية دراسة متأنية للمواقف المتباينة للأحزاب المحلية لن تكون ذات مغزى. ولكن التاريخ الحديث في العراق قد أظهر لنا أن حتى الجماعات الأوثق صلة بإيران تعمل حسب أهدافها السياسية ومصالحها الاستراتيجية الخاصة، بينما تتنافس في الحين ذاته فيما بينها باستمرار على النفوذ والموارد الاقتصادية⁽¹⁾. وإذا نظرنا إلى اللحظة الراهنة، فلا يمكننا إنكار أن وحدة رمزية قد نشأت دون شك بين الأحزاب الشيعية الرئيسية في مواقفها المعادية لأمريكا والمالية لإيران. وإن القرار غير الملزم بطرد القوات الأمريكية من العراق قد شاركت به جميع الأحزاب الشيعية تقريباً، فيما عدا ائتلاف النصر الذي يقوده حيدر العبادي. ومع ذلك، فإن المصالح السياسية والاقتصادية المتضاربة منذ زمن طويل بين الكتل الشيعية المتعددة تجلّت وستظل تتجلى بأشكال علنية وخفية، ولها تداعيات مهمة على إمكانية إخراج القوات الأجنبية.

في هذه الأثناء، كان موقف الفصائل الكردية حرجاً للغاية. فقد حضر ممثلون من الحزبين الكرديين الرئيسيين مراسم تأبين سليمان في أربيل وبغداد، إلا أنهم في الحين ذاته أشاروا إلى أنهم سيعارضون حدوث أي تغيير في وضع القوات الأمريكية. وجاءت مواقف الأحزاب السنّة العربية متوافقة مع الموقف الكردي، إلا أن الانقسامات المزمّنة بين فصائلها تعني أن أية محاولة في التكهن بمواقفها النهائية ستكون سابقة لأوانها. أما حركة الاحتجاجات، فقد حاولت النأي بنفسها عن الصراع الأمريكي - الإيراني برمته. وإن التأثير السياسي الذي كافحت حركة الاحتجاجات من أجله وحصلت عليه بعد أشهر من المظاهرات قد أعيق كثيراً بسبب التطورات الأخيرة، ولكن هناك موجات جديدة واعدة من الاحتجاجات. نورد أدناه تحليلاً للمواقف الناشئة للجهات الفاعلة السياسية المتنوعة في العراق.

الأحزاب الشيعية: وحدة رمزية ومنافسة مستمرة

يقوم الجانب المتطرف من ائتلاف البناء باستخدام خطابات حامية ترعي إلى زيادة الخلاف بين الأحزاب العراقية التي تساند "المقاومة" ضد أمريكا، وتلك التي لا تساندها. وقد تلقى برلمانيون أكراد تهديدات مباشرة من عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله إن اتخذوا أية إجراءات تبطئ إجلاء القوات الأمريكية. واستعداداً منه لمواجهة الحدث الوشيك المتوقع بتسمية عصائب أهل الحق منظمة إرهابية، عبّر الخزعلي عن معارضته لأية جلسة برلمانية لا يتم فيها مباشرة سنّ إجراءات ملزمة قانونياً بإجلاء القوات الأمريكية. وبعد الضربات التي وجهتها

1 للاطلاع على تحليل حول المنافسة بين الفصائل الشيعية، انظر:

Mansour, R., & 'Abd al-Jabbār, F. (2017). "The Popular Mobilization Forces and Iraq's Future" (Vol. 28). Washington, DC: Carnegie Endowment for International Peace and Saleem, ZA; Skelton, M. (2019) "Basra's Political Marketplace: Understanding Government Failure after the Protests." Konrad Adenauer Stiftung & IRIS.

إيران يوم 8 من كانون الثاني إلى القواعد الأمريكية في الأنبار وأربيل، ادعى الخزعلي أن "الرد" و"الانتقام" العراقيين لن يكونا أقل قوة وعنفاً.

أما قائد منظمة بدر هادي العامري، فلم يستخدم لغة "المقاومة" و"الانتقام" العنيفة، بل تحدث عن "رد" دون الخوض في تفاصيل ما قد يعنيه ذلك بدقة بعيداً عن المداولات الجارية في البرلمان. ويعود هذا الغموض جزئياً إلى طموحاته السياسية الأوسع، ما يحتم عليه العمل بين الفصائل وبالتعاون مع الشركاء الدوليين. ويتكهن بعض المحللين بأن براغماتية العامري قد تساعد في تخفيف التوترات مع الائتلاف. ولكن العامري تعهد أثناء مراسم تأبين قاسم سليمان باجلاء جميع القوات الأمريكية. وهذا الخطاب الأشد حدة نوعاً ما مفهوم نظراً لحاجة صاحبه إلى اجتذاب الأجنحة المتطرفة من تحالفه، والتي تتضمن عصائب أهل الحق بقيادة قيس الخزعلي وأيضاً بعض الفصائل الأكثر راديكالية ضمن منظمة بدر نفسها. وقال المتحدث الرسمي باسم المحور الشمالي للحشد الشعبي التابع لمنظمة بدر أن "الجوكرية (أي المحتجين) والبعثيين والخونة" سيتم التخلص منهم مباشرة. وبدر هي جهاز سياسي-عسكري كبير يشمل آراء مختلفة للغاية، ما يجعل العامري مضطراً لمراقبة مواقفه بحذر شديد. وفي الحين الذي يُنظر إليه على أنه شخصية داعية إلى التهدة بين الجماعات المتعددة للحزب الشعبي، ومع وجود اعتقاد واسع بأنه الخيار الأفضل لاستبدال أبي مهدي المهندس في منصب القائد العسكري لقوى الحشد الشعبي، ما يزال من غير المعروف ما إذا كان العامري سينجح في التعامل مع التصدعات الكبيرة بين المكونات المتنوعة لائتلافه.

ومن بين جميع الأحزاب الرئيسية ضمن تحالف البناء، اتخذ ائتلاف دولة القانون الذي يقوده نوري المالكي المسار الأكثر غموضاً وحذراً. فلم يرق المالكي بأي تصريح بعد الضربات التي وجّهت إلى سليمان. لكنه عموماً متفق مع الموقف الأوسع المتمثل في التعبير العلني عن معارضة الاعتداء الأمريكي، مشيراً إلى "انتهاكات ضد السيادة العراقية" ومحذراً من نية الولايات المتحدة "القيام بهجمات جديدة على الحشد". وكما العامري، من المرجح أن تكون لدى المالكي طموحات بتوسيع دوره السياسي عندما تهدأ الأوضاع.

الصدريون

قام الصدريون – كما هو متوقع – بإصدار بيانات متناقضة تجعل موقفهم على المدى الطويل غامضاً بالضرورة. ففي البداية، سعى الصدر إلى اتخاذ مساحة خطابية أكثر تطرفاً من الأجنحة الراديكالية لتحالف البناء. فأصر – مشدداً على أهمية إذلال الأمريكان – على إغلاق السفارة الأمريكية، ومقاطعة المنتجات الأمريكية، وحظر أي تواصل مع الأمريكيين واعتبار من يخرق ذلك الحظر خائناً. وفي الحين ذاته، قام الصدر بإعادة إحياء جيش المهدي (على نحو رمزي إجمالاً، ولا تتوفر معلومات حول التغييرات التي جرت على أرض الواقع) ودعا إلى تشكيل "مقاومة دولية" ضد القوات الأجنبية تهدف إلى إيجاد حلول عسكرية للتواجد الأمريكي في حال فشل الضغط السياسي. وإن حدة خطاب الصدر وضعته بسرعة محط الأنظار بصفته حامل لواء "المقاومة" الأكثر بروزاً، مما يشير إلى رغبته في التنافس على الحصول على دور أكبر. ولكن الصدر صمت فجأة عن دعواته إلى المقاومة، وهو يصرح الآن بأن "المتشددين" ينبغي أن يمتنعوا عن اتخاذ إجراءات استفزازية ضد الولايات المتحدة. ولطالما سعى الصدر إلى الحفاظ على مكانته الشعبية، إلا أنه دائماً ما بدا متردداً بشأن الطريقة المثلى

لتحقيق تلك الغاية. كما أنه يتعرض لضغط من جهات عدة - من بينها النظام الإيراني - وكثيراً ما يستجيب بأشكال غير متوقعة لتلك التأثيرات.

المجموعات الأخرى (عطاء، الحكمة، النصر)

يمكن القول إن حركة عطاء التي أنشأها رئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض قد دُفعت لتقترب أكثر من ائتلاف البناء والنظام الإيراني كذلك. ولطالما اعتُبر الفياض شخصية وسيطة بين قوات الحشد الشعبي والقوى الغربية نظراً لدوره الثنائي كرئيس لقوى الحشد الشعبي ومستشاراً للأمن الوطني لدى الحكومة العراقية. وقد زار الفياض، بصفته مستشاراً للأمن الوطني، البنتاغون لاجتماع مع وزير الدفاع الأمريكي في تشرين الأول 2019. لكن هذه الصورة الوسطية أخذت تتلاشى داخل العراق وخارجه أثناء الاحتجاجات، فقد كانت هناك مزاعم بتورطه في إدارة عمليات القمع العنيفة ضد المتظاهرين بدعم من إيران. وفي الآونة الأخيرة، أشار إليه مسؤولون أمريكيون بصفته وكيلاً لإيران بسبب مشاركته في المظاهرة التي خرجت أمام سفارة الولايات المتحدة. وكان للفياض ظهور علني للغاية في جنازة قاسم سليمان، حيث خاطب الخميني بصفته "القائد" دون إشارة إلى جنسيته. وعلى أية حال، لا تبدو الخطوات المقبلة للفياض واضحة. فمن ناحية يتوجب عليه تقوية الدعم عبر فصائل الحشد الشعبي، ومن ناحية أخرى يوجد في حزبه (حركة عطاء) شخصيات عربية سنية وقادة عشائر في كركوك والموصل ذات مواقف غامضة تجاه القوات الأمريكية في العراق، لكنها عموماً تعارض إخراجها بشكل مباشر.

أما قائد تيار الحكمة عمار الحكيم فقد عبر عن معارضته الشديدة للضربات الجوية الأمريكية وإخراج القوات الأمريكية، لكنه واطب على إصراره على اتخاذ الإجراءات البرلمانية الطبيعية عوضاً عن المقاومة العنيفة. وقد عمل على إظهار دعمه للنظام الإيراني خلال زيارة لمنزل قاسم سليمان في طهران. وإن تأثير تيار الحكمة في المحادثات السياسية الحالية ضئيل جداً، وبالتالي فإن تحركات الحزب ستتم وفق حاجته للحفاظ على نفسه، لا وفق إمكانية فعلية لقيادة النقاش السياسي.

وقد اتخذ ائتلاف النصر الذي يقوده حيدر العبادي موقفاً غير اعتيادي من بين الأحزاب الشيعية الأخرى. فبينما عبر العبادي معارضته لمطالب ترامب بسداد تكاليف قاعدة عين الأسد الجوية، لم توافق كتلته على الضغط لإجلاء الأمريكيين. ولم يحضر سوى ثلاثة برلمانيين من ائتلاف النصر (من أصل خمسة وعشرين) جلسة البرلمان التي عقدت للمطالبة بانسحاب القوات الأمريكية. وقد أعرب رئيس ائتلاف النصر البرلماني عدنان الزرفي علناً عن اعتراضه على التصويت، قائلاً إن العراق "سيخسر حليفاً مفيداً" و"يصنع عدواً يخشاه الجميع". وقد أخذ موقف ائتلاف النصر يضعف منذ انتخابات عام 2018، وربما كانت أفضل طريقة لفهم موقفه الناشئ هي أنه محاولة لاستعادة مكانته كمناصر للغرب، وهو أمله الوحيد والأخير في أن يبقى ذا صلة.

الأحزاب الكردية (الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني)

منذ الاستفتاء الذي جرى في تشرين الأول 2017 والحزبان في حالة انشقاق، إلا أنهما قد أظهرتا وحدة غير معتادة في هذه الأزمة إذ قاطعا التصويت في مجلس النواب العراقي بشأن إخراج القوات الأمريكية. وفي الحين ذاته، تعامل القادة الأكراد بحذر شديد مع إيران والأحزاب الشيعية. فحضر مسؤولون من الحزب الديمقراطي

والاتحاد الوطني مراسم تأبين قاسم سليماني في القنصليات الإيرانية في أربيل والسليمانية. ولم ينخرطوا في خطابات ضد الأحزاب الشيعية لعدد من الأسباب أهمها الحاجة إلى الحفاظ على المستويات الحالية لتحويلات عائدات النفط من بغداد. وقد اجتمع مسؤولون من الحزبين في الثامن من كانون الثاني بشأن تطورات الأوضاع، وبعد أن أجري الاجتماع والمؤتمر الصحفي، تحدث رئيس إقليم كردستان نيجرفان برزاني ورئيس مجلس الوزراء مسرور برزاني بنبرة مخففة حول "أحداث اليوم" كيلا يذكر الهجوم الإيراني بشكل مباشر. ونظراً لوجود روابط تجارية وسياسية وجغرافية بين أكراد العراق وإيران، لا يرغب الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني في أن يظهر جزءاً من الجبهة المناهضة لإيران. ولكن، في الوقت ذاته، أكد القادة بعبارة قوية أن قوى الائتلاف يجب ألا تغادر وأن تستمر في محاربة داعش. فهناك خشية من تكرار سيناريو عام 2011 الذي تهتمش فيه الحزبان عندما هيمنت الأحزاب الشيعية/الإيرانية على السياسة والاقتصاد في العراق.² يمكن القول باختصار إن الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني قلقان للغاية. وهما بحاجة إلى التواجد الأمريكي لضمان أمن إقليم كردستان العراق، لكنهما يعيان أيضاً قدرة إيران على إلحاق أضرار جمة على الأصدقاء السياسية والاقتصادية والعسكرية.

الكتل العربية السنية

قاطع معظم السياسيين العرب السنة جلسة البرلمان التي عُقدت بشأن إجلاء القوات الأجنبية من العراق، إلا أنهم لم يستطيعوا اتخاذ موقف موحد على غرار نظرائهم الأكراد. وتلك إشارة أخرى على عجز الأحزاب السنية عن الاتحاد خلف أجندة موحدة منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة عام 2003. وخلال الأعوام السبعة عشر الأخيرة، كافحت الأحزاب والقيادات العربية السنية من أجل توسيع دوائرها الانتخابية. لكن ما شهدته كان تشظياً في الأصوات الموزعة على الأحزاب والائتلافات الصغيرة المتعددة. فالائتلاف السني الأكبر الذي يقوده أسامة النجيفي لم يحصل سوى على أربعة عشر مقعداً في البرلمان الحالي، بينما حصل حزب محمد الحلبوسي على ستة مقاعد فقط. ومن المفارقات أن الكتلة الأكبر التي تمثل مصالح السنة في البرلمان يرأسها إباد علاوي وهو شيعي علماني. وهذا الانقسام بين السنة قد حدّ من تأثيرهم في الساحة الوطنية وجعلهم في مناسبات كثيرة رهينة لنفوذ الأحزاب الشيعية والكردية. وقد انتهز بعضهم الفرصة مختارين الوقوف إلى جانب الأحزاب الكردية أو الشيعية لدعم مكاسبهم الخاصة. هذا واصبح كسب الولاءات أكثر انتشاراً في أعقاب داعش، إذ اضطر بعض السياسيين العرب السنة، نظراً لامتداد نفوذ الأحزاب الشيعية إلى المناطق العربية السنية كالموصل، إلى انتهاز الفرصة وعقد صفقات قصيرة الأمد مقابل المناصب والموارد والأموال³. وبالتالي، رغم أن الفصائل العربية السنية سوف تتكبد خسائر جمة إذا انسحبت القوات الأمريكية بالكامل (فذلك سيجعلها تحت رحمة نزوات الأحزاب الشيعية)، من الصعب توقع موقف عربي سني متماسك بشأن هذه القضية للأسباب التي لخصناها أعلاه.

² Zaman, A. (2020) Iraq's Kurds weigh opportunities, risks in wake of Soleimani killing. Al-Monitor. <<https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2020/01/iraq-kurds-opportunity-risk-soleimani-killing-iraq-tensions.html>>

³ للاطلاع على تحليل حول الاستقطاب المشترك للأحزاب السنية، انظر:

Saleem, ZA; Skelton, M. (2019). "Mosul and Basra After the Protests: The Roots of Government Failure and Popular Discontent." Konrad Adenauer Stiftung and IRIS. October 2019.

المحتجون

سوف نقوم بنشر مادة عن المحتجين في الأسبوع القادم، لكننا سنلقي الضوء هنا باختصار عن الكيفية التي أثر بها مقتل سليماني على حركة الاحتجاجات. فبعد الضربات الأمريكية، لوحظ ارتفاع في مستوى التهديد والترهيب اللذين تمارسهما الفصائل الموالية لإيران ككتائب حزب الله وعصائب أهل الحق، والتي قد صرحت بأشكال مباشرة أو غير مباشرة أن جميع المتظاهرين هم منفذون لأجندات أمريكية. وقد تم استهداف وقتل محتجين في الناصرية والبصرة، وتم حرق خيامهم لرفضهم تنظيم جنازات رمزية لسليماني والمهندس. أضف إلى ذلك أن التحالف الصعب بين المحتجين والصدريين قد انحَلَّ بالنتيجة. فبعد الضربات الأمريكية، انخرط مؤيدو الصدر في ممارسات ترهيبية ضد المحتجين وفرضوا أنفسهم في ساحة التحرير مستولين على المنصة ومعلنين على الملأ عن مُرَشَّحَيْن لرئاسة مجلس الوزراء. والأهم من ذلك هو أن مقتل سليماني قد اجتذب اهتمام الإعلام والجهات الفاعلة الدولية بعيداً عن المحتجين، مما أضعف قدرتهم على إيصال أصواتهم وإبراز أنشطتهم. ومع ذلك، دعا المحتجون مؤيديهم إلى إعادة التعبئة والخروج في مظاهرات حاشدة جديدة.

الخلاصة

رغم أن التصعيدات الأخيرة قد شكَّلت المواقف والخطابيات قصيرة الأمد للأحزاب السياسية العراقية في مواجهة الأمريكان ومواجهة بعضهم البعض، إلا أنه لا يمكن التوصل إلى استنتاجات قاطعة في هذه المرحلة بخصوص العواقب السياسية والأمنية على المدى الطويل. فالوحدة الرمزية بين الكتل والميليشيات الشيعية تزخر بإشارات توحى بوجود تصدعات. فبينما أشار معظمها إلى معارضته لاستمرار تواجد القوات الأمريكية، إلا أنه ليس هناك اتفاق على الوسيلة التي سيتم بها تحقيق هذا الهدف. وهذا التباين ليس مفاجئاً نظراً إلى الفروقات الكبيرة في الأصول الاقتصادية والأجندات السياسية لتلك الأحزاب، وأيضاً التنوع في درجات اعتمادها على الغرب. وبما أن الروابط مع القيادة الإيرانية هي نقطة الالتقاء الوحيدة بين الأحزاب الشيعية من نواح عدة، فسيكون حرياً بالجهات التابعة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والراغبة باستمرار وجود قوات التحالف أن تتجنب الأعمال الاستفزازية التي سيكون من شأنها أن تزيد التناغم بين الفصائل المتنوعة كالبناء والصدريين... إلخ. أما الأكراد والعرب السنة فهم في موقف حرج ومن المرجح أنهم سيحافظون على مساهم الحذر لأسباب شتى، من أبرزها اعتماد الأكراد على الأموال المتدفقة من بغداد. وإن أي تصعيد كبير آخر سيتسبب في إضعاف قوتهم. وأخيراً، إن الأمل الأفضل في استمرار التقدم في العراق – وتحسين حياة المواطن العراقي العادي ورفاهه – يتمثل في تهدئة التوترات بين إيران والولايات المتحدة كي يستعيد المحتجون الصدارة في المحادثة السياسية.

